ألفاظ التواصل غير اللفظي في المعاجم العربية
لسان العرب أنموذجاً

Non-verbal communication words in Arabic dictionaries

The Lisan Al Arab is a model

د.عـــــــلي طـــراد[1,*]

[1] جامعة ورقلة، (الجزائر)، tradali76@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 **تاريخ المراجعة**: 2023/11/28 **تاريخ النشر**: 2023/12/30

ملخص:

يسعى الإنسان إلى التواصل مع غيره بكل ما من شأنه أن يحقق هذا الهدف، ولأن العربي يتوخى الدقة في إطلاق الأسماء على المسميات فقد تخير لكل حركة أو سكون - ذو دلالة – للجسم البشري لفظاً يحيل إلى معناه، حتى إنه ميز درجات الحركة الواحدة بلفظ خاص لكل منها، فالنَظَر نظرات، والمشي مشيات، والتبسم ذو أصناف شتى. ونحن من خلال هذا الجهد المتواضع نسعى إلى الكشف عن مدى اهتمام صاحب اللسان ببيان دقة الألفاظ المنتقاة لكل حركة جسدية، وما ينقدح في الذهن من دلالات (الدال) ترتبط في الأفهام بمعان (مدلول) متواضع عليها في الثقافة العربية. وقد اعتمدنا الاستقراء الناقص في تصيد الظاهرة ورصدها

الكلمات المفتاحية: الدال، المدلول، المعجم، التواصل. لغة الجسد

Abstract

The Human beings strive to communicate with others, in all means, to achieve that objective. since the Arabs tend to be accurate in giving names, any significant body gesture is linked to a term or word refers to its meaning so that it distinguishes the degrees of the single movement with an exact word for each. i.e., NAD'HAR is NAD'HARATS, MASCHY is MASCHYATS. Even smiling was divided into different degrees. Through this modest effort, we seek to reveal to what extent the author of "Lisan El Arab" was interested in demonstrating the accuracy of the words selected for each physical movement and the remarkable significations which come to mind (signifier) associated in the understandings with (significance) already agreed in the Arab culture. We have relied on the imperfect induction method in observing and investigating the phenomenon.

***Key words**: body language, the signifier, the significance, dictionary, Lisan El Arab, communication*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

يشكل المعجم اللغوي مَعِينا يغترف منه المتكلم، حيث إنه يوفر بدائل متعددة لمن رام الشرح والبيان، كما أنه يوفر اللفظة الدقيقة العميقة لمن أراد الدقة والتصويب على المعاني الجليلة. وقد كان معجم لسان العرب خير عون لكل باحث في شؤون اللغة، وخير مورد لمن ابتغى البحث في اللفظ وفروعه، وما يدور في حقله الدلالي. فقد استخلصه ابن منظور من خمسة معاجم سابقة؛ لأصاحبها قَدَمٌ راسخة وباع طويل في معاني الألفاظ وتصنيفها. وقد حظيت الحركات الجسمية والهيئات التي يتخذها هذا الأخير بحظ وافر من الألفاظ التي تعتبر أعلاماً لتلك الحركات وهاتيك الهيئات. وهي تشكل رافداً مهما تستخلص منه الدلالة بل ربما كانت دلالتها أبلغ من غيرها لما تحمله الحركة الجسمية أو الهيئة من شحنة دلالية تعجز عن حملها عبارات مطولة « إن للإشارة جهازا حركيا تصدر عنه صورها المختلفة التي يمكن أن تقارب الصورة الصوتية الصادرة عن جهاز النطق لدى الإنسان، كما أن جهازاً إدراكياً هو العين عوض الأذن فيما يتعلق بجهاز إدراك الكلام العادي »[1] فاستخدام أعضاء الجسد في التواصل يسري وفق « أنظمة دلالية عضوية تتخذ من جسم الإنسان علامات؛ لأن الإنسان يستخدم أعضاء جسمه بل جسمه كله في التواصل مع الآخرين ، إنه يتكلم بجسمه كما يتكلم بلسانه، وتحمل حركاته وإشاراته دلالات مثل كلمات اللغة تماماً. »[2]

لقد نال البحث في لغة الجسد اهتمام الباحثين الغربيين لما له من أهمية بالغة في فهم الخطاب ف « التواصل غير الملفوظ غالباً ما يشار إليه بالسلوك غير اللفظي أو لغة الجسد. وهو وسيلة لنقل المعلومات – مثل الكلام تماماً – عدا أن هذه المعلومات يتم نقلها من خلال تعبيرات الوجه ، والإيماءات ، واللمس (علم اللمسيات) والحركات الجسدية (علم حركات الجسد) والمظهر الخارجي (الملابس، المجوهرات، طريقة تصفيف الشعر ، الوشم...الخ) وحتى من خلال نبرة ونغمة ومستوى صوت الشخص (وليس من خلال ذلك المحتوى الملفوظ) السلوكيات غير الملفوظة تمثل تقريباً من 60 إلى 65 بالمائة من التواصل بين الأشخاص.»[3]

ولعل العالم الموسوعي أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ قد قارب موضوع التواصل بما شاكل هذا القول - وإن لم يقدم نسباً مئوية - فقد عرف البيان الذي هو التواصل في عرف القدامى - قبل أن يصبح مصطلحاً لفرع من فروع البلاغة - إذ عدَّ كل ما يحصل به الفهم والإفهام بياناً (تواصلا) وقد حدها بخمس وسائل « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة »[4] فلو ذهبنا نقسم هذه الوسائل الخمسة لوجدناه تنقسم إلى تواصل لفظي: اللفظ والخط باعتباره صورة لما يلفظ، والوسائل الثلاثة المتبقية فهي من قبيل التواصل غير اللفظي (العقد والاشارة والحال التي تسمى نصبة) فالعقد عَدٌّ باستخدام الأصابع، والاشارة عامة تستغرق كل ما يصدر منها بقصد التواصل، والحال التي تسمى نصبة: وهي الهيئات الدالة سواء كان منتجها قاصدا من ورائها إلى معان بعينها، أو كانت دالة على معان تواضع الناس عليها.

وقد تعددت المسميات في تراثنا العربي إلا أنها جميعا تصب في مصب واحد هو التواصل غير اللفظي أو لغة الجسد، فتارة يطلق عليها الجاحظ الإشارة من باب تسمية الكل باسم الجزء :« فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلاف في طبقاتها ودلالاتها، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة في أمور يسرها من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس،

ولولا الإشارة لم يتفهم الناس خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة، ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم.»[5]

وتارة يطلق عليها الرمز اعتمادا على مؤداها يقول ابن منظور: « **الرمز** في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه: بيدٍ أو بعين.»[6] إلى غير ذلك من المصطلحات التي لا يتسع المقام لذكرها وسنحاول عرض ما تم رصده من ألفاظ.

أولاَ: ألفاظ تخص حركات الجسد

تتحرك جوارح البدن عفواً، أو يحركها الإنسان عامداً قاصداً، فتكون حركتها دالة دلالة مباشرة شأنها شأن اللفظ تماماً، أو موحية بمعاني تستشف من السياق ومألوف دلالتها عند الجماعة اللغوية الواحدة. قال الجاحظ في سرد جملة من الحركات الجسمية الدالة على معانٍ يفهمها الناس لما ألفوه من دلالاتها : « فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها: رفع الحواجب، وكسر الأجفان، ولي الشفاه، وتحريك الأعناق، وقبض جلدة الوجه، وأبعدها أن تلوي بثوب على مقطع جبل اتجاه عين الناظر.»[7] فالجاحظ قد نبه إلى قضية أخذ المسافة بعين الاعتبار؛ إذ العين هي مورد الدال، فكلما كان الإنسان أقرب كانت الحركات الجسمية أوضح فيستشف المعاني من أبسطها (رفع الحواجب) إلى أكثرها تركيباً (لي العنق)، فإن تعذر ذلك لبعد المسافة فاستعمال أدوات أخرى تتمم دلالة الخطاب المراد إيصاله (أن تلوي بمقطع ثوب على جبل) فكأنه أراد تقسيم تلك الحركات إلى حركات يستعمل فيها بعض الجسم، وأخرى يستعمل فيها الجسم بأكمله. وقد رصدنا من خلال لسان العرب ألفاظا هي بمثابة أعلام تطلق على كل نوع من الأنواع سالفة الذكر

1- أعلام لحركة أعضاء الجسم:

تصدر عن الإنسان بصفته كائنا عاقلا حركات إرادية وأخرى لا إرادية، ولكل واحدة من تلك الحركات معنى. فالإرادي منها يحدد معانيها مُصْدِرها بينما تفسر غير الإرادية منها وفق ما تعارف عليه الناس من معان - تكاد تكون مشتركة بين البشر جميعا- وأشهر الألفاظ المستعملة في حركة **الرأس** . فله « حركات وهيئات حمالة لدلالات، متباينة بتباين الحالة النفسية والسياق، كحركة تنبئ عن الرفض، وأخرى عن القبول، وثالثة عن الاستهزاء، ورابعة عن الانكار، وخامسة عن التحية. وفي علم الحركية يشار إلى هيئات للرأس مختلفة، وهي كواشف لحالات نفسية دلالاتها متباينة »[8] فمنها على سبيل المثال: (**أومأ**) يقول ابن منظور: « الايماء أن تومئ برأسك أو يدك كما يومئ المريض برأسه للركوع والسجود، وقد تقول العرب أومأ برأسه: أي قال (لا) »[9] ومن الألفاظ التي تطلق حركة الرأس لفظة **طأطأ**: في لسان العرب مادة (طأطأ) الطَأْطَأَة مصدر طَأْطَأَ طامنه وتَطَامَنَ وطأطأ الشيء خفضه» وفي معنى آخر لحركة الرأس يقول ابن منظور:« **المقنع** من ذلٍ، والإقناع رفع الرأس و النظر في ذل وخشوع. وأقنع فلان رأسه وهو أن يرفع بصره ووجهه إلى ما حيال رأسه من السماء». فالملاحظ أن لكل حركة لفظة تدل عليها وتحمل معنى يختلف عن اختها .

ولطبقات **النظر** عند العرب مسميات متباينة بتباين الغاية من تلك النظرة فـ « إذا نظر الإنسان بمجامع عينه قيل: **رمقه** ، فإذا نظر إليه من جانب قيل: **لحظه**، فإن نظر إليه بعجلة قيل: **لمحه**، فإن رماه ببصره مع حدة نظر قيل: **حدجه** بطرفه، وفي حديث ابن مسعود ﷺ " حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم " فإن نظر إليه بشِدَّةٍ وحِدَّةٍ

قيل: **أرشقه** وأسف النظر إليه. وفي حديث الشعبي " أنه كره أن يسف الرجل النظر إلى أمه وأخته، وابنته" فإن نظر إليه نظر المتعجب منه، والكاره له، والمبغض إياه قيل: **شَفَنَهُ**، وشفن إليه شُفُوناً وشَفَناً، فإن أعاره لحظ العداوة قيل: نظر إليه **شزراً**، فإن نظر إليه نظر المحب قيل: نظر إليه نظرة **ذي علق**، فإن نظر إليه نظر المستثبت قيل: **توضحه**، فإن نظر إليه واضعا يده على حاجبه مستظلاً بها ليستبين المنظور إليه قيل : **استكفه**، **واستوضحه**، **واستشرفه**. »[10]

ومن لغة الجسد المُبِينة المُفْهمة التبسم المعبر عن السرور والغبطة وما يشعر به الإنسان من ارتياح يقول الثعالبي: « **التبسم** أول مراتب الضحك، ثم **الإهلاس**: وهو إخفاؤه (عن الأموي) ، ثم **الافترار والانكلال**: وهما الضحك الحسن عن أبي عبيدة. ثم **الكَتْكَتَةُ** أشد منهما ثم **القهقهة**، ثم **القرقرة**، ثم **الكركرة**، ثم **الاستغراب**، ثم **الطخطخة** وهي: أن يقول طيخ طيخ، ثم **الاهزاق** والزهزقة وهي: أن يذهب به الضحك كل مذهب.»[11] فكل حالة نفسية يعبر عنها الإنسان بضحكة تختلف عن سواها، فهناك تبسم السعيد، وتبسم المغضب، وهناك ابتسام المحزون. فلكل نوع من هذه الأنواع لفظ يحيل إليه، كما أن الحالة الواحدة تتدرج من الأقل إلى الأشد كما في المثال السابق فلكل درجة لفظ خاص بها.

2- **أعلام لحركة البدن بأكمله**

في مثل هذه الحركات لا ينظر إلى حركة جزء واحد من الجسم، بل تستشف الدلالة من حركة الجسد بأكمله: كالإقبال والإدبار، أو حتى الحضور والغياب، وكالجلوس بهيئات مختلفة. فالمشي مثلا يختلف باختلاف سرعته، كما تختلف أسماؤه باعتبار الزمن الذي وقع فيه، وتختلف أيضاً تسمياته باعتبار الصحة النفسية والبدنية للماشي، وسنه وجنسه.

فحين ينظر إلى المشي باعتبار سرعته وبطئه تطلق عليه عدة مسميات منها: **الختل**، و« المخاتلة مشي الصياد قليلاً قليلاً في خفية لئلا يسمع الصيد حسه، ثم جعل مثلاً بكل شيء»[12] ومن أنواع المشيات **الجأث** و« الجأث ثقل المشي. يقال أثقله الحمل حتى جأث»[13] ويقال **زكَّ** في مشيته « المشي الزكيك: المقرمط، زكَّ الزجل يَزُكُّ زكاً وزكَكاً وَزَكِيكاً مر يقارب بخطوه في ضعف»[14]

وقد تختلف تسميات المشية باعتبار الغاية منها فيقال: **تبختر** « والبخترة والتبختر مشية حسنة (...) البختري المتكبر المعجب بنفسه»[15]. وقد يكون المشي على غير إرادته فيحث الخطى طلبا للسلامة حرصا على أن ينجو من مكروه ألم به؛ فتكون التسمية غير تسمية المشية التي يأمن فيها على نفسه. وإن أسرع يقال **فَرَّ** « والْفَرُّ والفِرَار: هَرَبَ. ورجل فَرُورٌ وفَرْورَةٌ. وفَرَّ غير كرَّ»[16] وكلمة « **بلهص كَتْلأَصَ** أي فَرَّ وعدا من فزع »[17] ويقال أيضاً **جنص** و« جنص: هرب من الفزع »[18] وقد ينظر إلى حالة بدن الماشي لما لها من تأثير على نوعية المشية، كما أن ذو البنية القوية قد يداخله العجب وزهو النفس فيقال عن مشيته: **زنك** « والزَّوَنَّكُ من الرجال القصير اللحيم الحياك في مشيته. قال ابن الأعرابي: هو المختال في مشيته الرافع لنفسه فوق قدرها، الناظر في عطفيه، الرائي أن عنده خيراً وليس عنده ذلك »[19]

ولزمن المشي عند العرب اعتباره؛ فكل زمن من الأزمنة ألفاظ تطلق على المشي فيه. فإن مشى الليل بأكمله تقول عنه العرب: **سأد** « والإسآد سير الليل كله لا تعريس فيه»[20] وإن كان السير سائر اليوم دون أخذ

قسط من الراحة أطلقت عليه العرب: **التأويب**. قال ابن منظور« والتأويب سير النهار لا تعريج فيه »[21] فإن مشي الإنسان في وقت الظهيرة قالوا عنه **سنبخ**: « في النوادر ظللت اليوم مسربخاً ومسنبخاً. أي ظللت أمشي في الظهيرة »[22] وقد يكلف أحد القوم بضمان أمن الحي أو القافلة أو أي مكان فيجول فيه في الليل متفقدا فيقال عنه: **عوس** و« العوس والعوسان: الطواف بالليل، عاسَ عَوْساً وعوساناً: طاف بالليل »[23] وقد يضطر الإنسان إلى السفر قبل أن ينشق فلق الصبح أي وقت السحر فيقال: **أدلج** « والدلجة سير السحر والدلجة سير الليل كله »[24]

كما أن حركات بدن الماشي قد تميز مشيه عن سواه؛ فتسمى مشيته نظراً لما يحدث في بدنه من حركات يقال: **ألَّ** إذا اهتز بدنه حين يمشي « الألُّ: السرعة. الألُّ الاسراع. وأل في سيره ومشيه يؤُلُّ ويئِلُّ ألاًّ إذا أَسْرَعَ واهتز».[25] فإن كانت الحركة على مستوى رأس الماشي يقال عنه: **سنطل** و« المسنطل المتمايل لا يملك نفسه. وقيل هو الذي ينحدر رأسه وعنقه ثم يرتفع: وقيل هو الذي يمشي ويطأطئ رأسه»[26] فإن مشى الإنسان يتمايل لا يكاد يحفظ توازنه لسبب ما فيقال عنه: **ترنح** و« رنح الرجل وغيره وترنح: تمايل من السكر وغيره. وترنح إذا مال واستدار (...) يقال: رُنِّحَ فلان ترْنيحاً: اذا اعتراه وَهَنٌ في عظامه من ضرب، أو فزع، أو سكر»[27]

تستعمل العرب لفظة خاصة بكل مشية نظراً للاعتبارات السالفة الذكر؛ مما جعل القاموس العربي ثري غاية الثراء، يوفر دوال دقيقة ومعبرة، تمكن المتكلم من تحديد مراده بدقة قلَّ نظيرها في باقي اللغات.

ثانياً: ألفاظ تخص هيئات الجسد

يصمت الإنسان فتغني لسان حاله عن لسان قاله، وأبين الدلالات ما يبديه وجهه عن حالته النفسية. كما ينبيك النظر إلى هيئته العامة عن أخبار صحته، وجنسه، ووضعه المادي ...الخ. وقد اجترحت العرب ألفاظا دقيقة تعبر عن كل حالة أو هيئة بلفظة دالة، وكلمة مبينة تنم عن ثراء معجمي قلَّ نظيره.

1- أعلام لهيئة الوجه

ما من عضو من أعضاء البدن يشي بالحالة النفسية لصاحبه مثل الوجه، فعلى صفحته تبدو بجلاء حالة الإنسان النفسية، ولن يجد المتفحص لوجه مُحَدِثه عَنَتاً في اكتشاف ما يعتمل في نفسه من الحالات النفسية الستة المشهورة: (الفرح، والحزن، الخجل، والغضب، الدهشة، والخوف) فلكل حالة من الحالات السالفة الذكر اجترح العربي جملة من الألفاظ التي تصف بدقة متناهية، وبيان درجة كل حالة منها فليس ثمة لفظ واحد يدل عليها جميعا، بل عدة ألفاظ لكل منها على حسب شدة الحالة النفسية وخفتها فعلى سبيل المثال يقال عن الإنسان يقابل غيره: **هشَّ**: « الهشاشة الارتياح والخفة للمعروف. الجوهري: هشِشْت بفلان بالكسر، أهش هشاشة إذا خففت إليه، وارتحت له، وفرحت به »[28] فإن بدا البشر على محي الإنسان يقال: استبشر **والاستبشار**: إذ يتهلل وجه الإنسان، وتبرق أساريره إذا لقي ما يدخل السرور على نفسه « والاستبشار في اللغة مأخوذ من مادة (بشر) التي يدل أصلها على حسن الشيء من حسن وجمال ، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان ويقال بشرت فلان ابشره تبشيرا فاستبشر »[29]

وكما يبدو الفرح والسور على الوجه يبدو الحزن والهم يقال **كَمِد** « الكَمْدُ والكُمْدَة: تغير اللون وذهاب صفائه وبقاء أثره. وكمد لونه إذا تغير ورأيتُه كامد اللون (...) والكمد: همٌّ وحزن لا يستطاع إمضاؤه »[30] فهذه اللفظة

تطلق على نوع مخصوص من الخزن وهو الذي يلازم الإنسان ولا يقوى على تجاوزه. وقد يكون الحزن لداعي آخر فيختلف اللفظ أيضا يقال: **ختا** « ختا الرجل يختو ختُواً: إذا رأيته متخشعاً، وإذا انكسر من حزن أو مرض، أو تغير لونه من فزع أو مرض »[31] فإن كان الحزن طارئاً على متحدث فيصمت ويسكت عن الكلام فيقال عنه: **وجم** : « الوُجوم : السكوت على غيظ (...) والواجم الذي أسكته الهم، وعَلَتْه الكآبة »[32] فإن تغير الوجه وعَلَتْه مسحة الغضب يقال: **عبوس** :« عَبَسَ . يَعْبس . عَبْساً . وعَبَّسَ : قَطَّبَ ما بين عينيه (...) وعَبَّسَ تَعْبِيساً فهو مُعَبِسٌ وعَبّاسٌ إذا كرَّهَ وجهه وشُدِّدَ للمبالغة فإن كشر عن أسنانه فهو **كالح** »[33] فإن صحب الغضب تقطيب ما بين العينين قيل: **قطب** : قال ابن منظور « القطوب: أن تزوي ما بين العينين عند العبوس فيقال رأيته غضبان قاطباً»[34]

يخاف الإنسان فيبدو ذلك جليا على صفحة وجهه، وتكون درجة الخوف تبعا لسببه. فقد يخاف الإنسان على فوات مطلوب، أو من حصول مكروه، وقد يكون الخوف من الهلاك؛ فيدل اللفظ المستعمل لكل حالات دالاً على شدتها وسببها فيقال مثلا: **هلع** فتدل على شدة الخوف وتمكنه من نفس صاحبه، كأن يستشعر سوء العاقبة، وتستقر في نفسه مظنة الهلاك. قال ابن منظور « الهلع: الحرص. وقيل: الجزع وقلة الصبر ، وقيل: هو أسوأ الجزع وأفحشه ، هَلِعَ يَهْلَعُ هَلَعاً وهُلوعاً ، فهو هَلِعٌ وهَلوعٌ »[35]

ومن العلامات الكاشفة عن الحالة النفسية لصاحبها تغير لون الوجه حياءً، أو تحرجا من موقف يصعب عليه مواجهته، كأن يُوَاجَهَ بما لا يريد أن يظهره أمام الناس؛ فَيُسْتدل على ذلك من خلال ما يبدو على وجهه من حمرة، وقد يكون الحياء محمودا كحياء العذارى، وقد يكون مذموما كحياء من يفوت مصلحة مشروعة اتقاء الحرج. تقول العرب عن الحياء **حشمة** فـ« الحشمة: الحياء والانقباض، وقد احتشم عنه ومنه. قال: الليت والحشمة الانقباض عن أخيك في المطعم وطلب الحاجة»[36] وقد يواجه الإنسان بسوء فعله فيستحي وتنكسر عينه ويتغير وجهه فيقال عنه **خجل**: « الخجل الاسترخاء من الحياء، ويكون من الذل. ورجل خجل وبه خجلة أي حياء»[37]

وتعتبر كل هذه الحالات السالفة الذكر موردا للدلالة، شاهدا على صدق القول، أو باباً يدخل الريبة في نفس المتلقي في مثل هذه المواقف لأن الوجوه - كما يقول المثل العربي - مرايا تنبيك بأسرار البرايا.

2- أعلام لهيئة البدن بأكمله

وقدتنظر العرب إلى عموم هيئة جسم الإنسان فَيُستدل منه على أمور كثيرة، فتصف الإنسان بالمتكبر إن أظهر الإعجاب بنفسه، أو الوَقُور إن أبدى الحلم والسمت الحسن، أو المتنعم إن بدت عليه علامات الثراء ورغد العيش ....الخ فتقول العرب أبدى **هيبة** و« الهيبة: المهابة، وهي الإجلال والمخافة»[38] فإن أظهر ما يشي بأنه الجاه وعلية القوم أهل الحل والعقد زكان مظهره وهندامه يشيان بذلك يقال عنه: **تفخل** و« تفخل الرجل: أظهر الوقار والحلم، وتفخل أيضاً: تهيأ ولبس أحسن ثيابه »[39] فإن اعتد المرء بنفسه وتفاخر بمكانته الاجتماعية ووافر النعمة عنده يقال عنه: **أكمخ** فلان و« الإكماخ جلوس المتعظم بنفسه، أكمخ إكماخاً. حكى أبو الدقيش: قال فلبس كساءً له ثم جلس جلوس العروس على المنصة وقال: هكذا يكمخون من البأو والعظمة»[40]

وكما أن الزينة وجمال المظهر دليل على النعمة وحسن الحال، فإن المظهر كذلك يشي بالبؤس والشقاء وقلة ذات اليد. تقول العرب: **ودب** و« الودب سوء الحال»[41] وقد يعرف بؤس الشخص من مظهره ولباسه وبشرته. فإن بدا القوم شعثٌ غبرٌ تنم حالتهم عن عسر في المأكل والمشرب «يقال أصابهم من العيش **ضِفَفٌ وحَفَفٌ . وقَشَفٌ** ، كل هذا من شدة العيش . والمتقشف : الذي يَتَبَلَّغُ بالقوت وبالمرقع »[42]

وربما سكت الإنسان ولم ينطق ببنت شفه لكنه في الحقيقة يقول كلاما لاتقوى الألفاظ ولا الإشارات عن حمله فكما يقال رب صمت أبلغ من كلام يقال: **صمت** الإنسان وأمسك عن الكلام جملة « الصمت السكوت، وقد أخذه الصمات. يقال للرجل إذا اعتقل لسانه فلم يتكلم : أصمت فهو مصمت »[43] وقد ينعقد لسان المرء عن الكلام لعدة أسباب نتبينها من الموقف الذي ورد فيه هذا الصمت، فقد يصمت الإنسان خوفا من عواقب الكلام، كصمت المغلوب أمام الغالب فيخشاه ويطير صوابه فلا يقوى على التعبير وتخونه الكلمات فيقال **خترم** و« خترم : صمت عن عيٍّ أو فزع »[44] وباب الصمت وأنواعه ودلالاته باب واسع يصلح لأن يكون موضوع بحث مستقل.

خـــاتمة:

تنتقي العرب ألفاظها بدقة متناهية، وقد اتسم المعجم العربي بالثراء الدلالي الذي يتيح للمتحدث أن يعبر عن مراده بأريحية واطمئنان على ما أراد تبليغه لغيره، فوضع عدة ألفاظ للمعنى الواحد يستعمل كل لفظ منها باعتبار السياق ودرجة المعنى الموصوف؛ ما يجعل المعاني في مأمن من اللبس، كما يضمن لها الوصول إلى أفهام المتلقين بصورة جيدة. وقد تخيرنا باب التواصل غير اللفظي لنسلط الضوء على عينة من الألفاظ الدالة على هذه الأخيرة وما لها من قيمة دلالية؛ إذ قد يلجأ المتحدث إلى نقل ووصف التواصل غير اللفظي من حركات وهيئات وإشارات لما لها من أثر في نفس المتلقي، وما لها من قدرة على حمل الدلالة المقصودة.

وقد تبين لنا من خلال تتبع هذه الظاهرة في عينات من لسان العرب أن جملة هذه الألفاظ تندرج ضمن:

- ألفاظ تأتي عبارة عن علم لحركة جسمية، وفيها ينظر إلى حركة عضو من أعضاء الجسم فيكون العضو الرئيس في إنتاج الدلالة، كنظرة العين أو إشارة الإصبع أو حركة الرأس.
- ألفاظ تأتي كأعلام تستغرق حركة الجسد بأكمله، ولا يتم النظر فيها إلى عضو بعينه كدلالة الإقبال، أو الإدبار، أو الحركة بأسلوب معين يحيل إلى معاني تعارفت عليها الجماعة اللغوية الواحدة.
- ألفاظ تأتي عبارة عن أعلام لهيئة معينة، يكون الجسم فيها ساكنا لكنه يبدي من الإشارات ما يكون مفصحا مبينا عن معاني جمة، تبدو على صفحة الوجه كالخجل، والخوف، والبشر، والحزن. وكلها معان تُسْتَقى من هيئة وجه الإنسان وإن لم يتكلم.
- ألفاظ تأتي عبارة عن اعلام لهيئة جسمية دالة، ويكون حينها الجسد كله متكلم مخبر عن معاني كثيرة - وإن أراد صاحبها عدم البوح بها - كشظف العيش أو رغده، وتقدم السن، وحالة الجسم الصحية.

مما سبق يتبين لنا أنه قد ينظر إلى حديث المرء فيفهم مراده، وقد يوافق مقاله لسان حاله ولغة جسده فيكون هذا شاهدا على ذاك وقد يخالف لسان الحال لسان المقال فيميل الإنسان إلى لسان الحال يصدقه وإن خالف القول؛ لما علم من صدق لسان الحال وصعوبة تزييفه.

هوامش وإحالات المقال

[1] بلمليح إدريس، الرؤية البيانية عند الجاحظ ، دار الثقافة (ط1)، 1984، عمان الأردن، ص 85

[2] زكي حسام الدين كريم،

[3] جو نافارو، بالاشتراك مع دمارفين كارلينز، ما يقوله كل جسد، مكتبة جرير، (ط2)، 2010، الرياض المملكة العربية السعودية، ص 12

[4] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب البيان والتبيين، **تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي،(ط71) ،1997، القاهرة مصر**،، ج 1، ص 76

[5] المصدر نفسه، ج1 ص77

[6] ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان (ط3)، 1414ه، ج5 ، ص357

[7] الجاحظ، مصدر سابق،

[8] كريم زكي حسام الدين، مرجع سابق ص 286

[9] ابن المنظور، مصدر سابق مادة (وما) ج1 ص201

[10] الثعالبي أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية، ص 161 /163

[11] الثعالبي، مصدر سابق، ج1 ص 173

[12] ابن منظور، مصدر سابق، مادة (ختل)، ج11، ص199

[13] المصدر نفسه مادة (جأث) ج2 ص126

[14] المصدر نفسه ، مادة (زكك) ج10 ص436

[15] المصدر نفسه ، مادة (بختر) ج4 ص48

[16] المصدر نفسه، مادة (فرر) ج5 ص50

[17] المصدر نفسه، مادة (بلهص) ج7 ص8

[18] المصدر نفسه، مادة (جنص) ج7 ص10

[19] المصدر نفسه ، مادة (زنك) ج10 ص436

[20] المصدر نفسه ، مادة (سأد) ج3 ص201

[21] المصدر نفسه، مادة (سأد) ج3 ص201

[22] المصدر نفسه، مادة (سنبخ) ج3 ص27

[23] المصدر نفسه، مادة (عوس) ج6 ص151

[24] المصدر نفسه، مادة (دلج) ج2 ص272

[25] المصدر نفسه ، مادة (ألل) ج11 ص23

[26] المصدر نفسه مادة (سنطل) ج11 ص384

[27] المصدر نفسه، مادة (رنح) ج2 ص454

[28] المصدر نفسه، مادة (هشش) ج6 ص364

[29] ابن فارس أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر،(دط)، 1979،دمشق سوريا، ج1 ص 251

[30] ابن منظور، مصدر سابق، مادة (كمد) ج 3 ، ص 381/380

[31] المصدر نفسه، مادة (ختا) ، ج 14، ص 223

[32] المصدر نفسه ، مادة (وجم) ، ج 12 ، ص 630

[33] المصدر نفسه، ، مادة (عبس) ، ج 6 ، ص 128

[34] المصدر نفسه، مادة (قطب) ، ج 1 ، ص 128

[35] المصدر نفسه ، مادة (هلع) ، ج 08 ص 374

[36] المصدر نفسه ، مادة(حشم) ج12 ص253

[37] المصدر نفسه، مادة (خجل) ج11 ص200

[38] المصدر نفسه ، مادة (هيب) ج1 ص789

[39] المصدر نفسه، مادة (فخل) ج11 ص518

[40] المصدر نفسه، مادة (كمخ) ج3 ص49

[41] المصدر نفسه، مادة (ودب) ج1 ص796

[42] المصدر نفسه ، مادة (قشف) ج 9 ص 282 / 283

[43] المصدر نفسه، مادة (صمت)، ج2، ص 54

[44] المصدر نفسه، مادة (خترم) ج 12 ص 165